**المحاضرة الثالثة**:

**النظرية الأدبية والدرس النقدي:**

**د/ سامية بن دريس**

**تمهيد**:

عرفنا أن النظرية النقدية تعتمد على رافدين هامين، هما تاريخ الأدب والنقد الأدبي؛ إذ تستمد مادتها من تراكم المنجزات التي حققت في هذين الميدانين، ونركز بصورة خاصة على ما قدمه الدرس النقدي، ال\ي يمثل متكأ هاما ترتكز عليه، ولعل ذلك يعود إلى الصلة الوثيقة بين النقد والنص الأدبي، في سعي الأول إلى استكناه جزهر الثاني والوقوف على حقيقته ووظيفته وآليات اشتغاله.

ولأن النظرية الأدبية فعل معرفي متجدد ولا نهائي مرتبط بمنجزات مختلف الحول، فإننا نلاحظ فيها التداخل بين السياقي والنسقي. لذلك فإن السؤال الذي يواجهنا في هذا المقام يتمث في: كيف أفادت النظرية الأديبة من الدرس النقدي؟

**النظرية الأدبية والدرس النقدي:**

1. **النظرية الأدبية والنقد السياقي ( مقاربة المحتوى):**

لاشك أن إسهامات الدرس النقدي في ميدان النظرية الأدبية يحيلنا إلى جملة من المداخل القرائية، سياقية كانت أو نسقية أو ما بعدها، غير أن الاختلاف بينها يكمن في درجة فاعلية هذه المداخل، وأثرها على الجانب التنظيري للأدب، فضلا عن التوجه به نحو العلمنة وإخضاعه لشروط موضوعية من أجل محاصرة الظاهرة الأدبية. ففي ميدان النقد السياقي توالت عدة نظريات ساعية إلى تفسير الظاهرة الأدبية وبواعثها، مثل نظرية التعبير التي أراد أصحابها ضخ دماء جديدة في الجسد الأدبي وتحريره من قيود المحاكاة، زإفساح المجال أمام العواطف الفردية للانبثاق والتحرر، والأمر كذلك بالنسبة لنظرية الخلق. أما نظرية الانعكاس التي تنظر إلى الأدب ككائن حي خلقه الأديب من ذاته باستعمال اللغة، مما يعني أن الإبداع الأدبي عبارة عن خلق حر، جوهره الصياغة والتشكيل. وقد انبثق عن هذه النظرية مفهوم آخر هو المعاكس الموضوعي، وهو مصطلح يشير إلى الأداة الرمزية، التي يستخدمها الأديب للتعبير عن مفاهيم مجردة كالعواطف، دون أن يصرح فيها عن عاطفته.

من جانب آخر برزت نظرية الانعكاس التي انبثقت عن الفلسفة الاجتماعية وتوجيهها للفن، تحت تأثير الفلسفة الماركسية، بموضعة الأدب داخل النسق الإيديولوجي الذي يسعى لخدمة أغراض اجتماعية تحت مسميات الواقعية خاصة منها الواقعية الجديدة، كرد فعل على مدرسة الفن للفن. من هنا برزت مقولة الأدب والإيديولوجيا ، فأغرقت النصوص بمحمولات ذاتية وتنظيرات تخدم العقيدة السياسية والاجتماعية للأديب والناقد معا.

وعلى العموم فقد بالغت النظرية السياقية في الدوران حول المحيط الخارجي للنص، مسترشدة تارة بالتاريخ وأخرى بحياة الأديب وإيديولوجيته، بل تعدى ذلك إلى تطبيق مقولات التحليل النفسي على النصوص الأدبية ذاتها، لا ستخراج جملة من العقد أو الأمراض، وأهملت الجوهر الأساسي الذي هو النص.

1. **النظرية الأدبية والنقد النسقي(موت السياقات):**

أفضت النظريات الاجتماعية والنفسية التي طبقت على النصوص الأدبية إلى تمييع جوهر أدبيتها، مما استدعى إعادة النظر ومراجعة المقولات السائدة، بل ونقضها (وهي قاعدة أساسية في الثقافة الغربية.) فجاء الشكلانيون الروس (شلوفسكي، جاكبسون، اخنباوم، نوماشوفسكي...) ووجهوا دراساتهم نحو النص ذاته، عن طريق إعادة إنتاج شبكة مصطلحية ومفاهيمية تقوم على الاتفاق على الطابع التخييلي للأدب، الذي يقوم على مكون أساسي هو اللغة، هذه الأخيرة التي توظف بطريقة غريبة أو " تمثل عنفا منظما يرتكب في حق اللغة العادية". فأصبح ينظر إلى الأدب على أنه واقعة مادية، وليس تعبيرا عن الأفكار والعواطف. ومن ثم فاللغة الأدبية " هي مجموعة من الانحرافات عن المعيار ونوع من العنف اللساني، أي أن الأدب نوع خاص من اللغة"[[1]](#footnote-2) مشيرين إلى الاختلافات الموجودة على مستوى الطبقة والمنطقة والجنس والمكانة.

ولهذا نرى أن النظرية الأدبية قد عرفت تحوّلا جذريا على مستوى فلسفتها ومنهجها مفسحة المجال لبروز مفاهيم جديدة حول الأدب ذاته، مرتكزة على مجمل المقولات التي انبثقت عن النظرية البنيوية، التي تنظر إلى البنية الداخلية للنص باعتبارها المكون الفعلي، أي شكلا، معلية من شأن سلطة النصو بإعلان موت السياقات والاعتداد بالمحايثة ( المؤلف، السياق الاجتماعي، النفسي، التاريخي) والنسق المغلق برفض التأويل الخارجي، من أجل مسعى "واحد مشترك هو الرغبة في تحقيق دراسة علمية موضوعية بعيدا عن الاعتبارات الذاتية"[[2]](#footnote-3).

وعليه يمكن القول إن المشروع البنيوي كان يسعى لتحقيق ثلاثة أبعاد هي:

أ.النص نظام أو بنية خاصة.

ب.النص يتأثر بنصوص أخرى على مستوى البنيات الشكلية.

1. العلاقة بين النص والثقافة ككل[[3]](#footnote-4).

وستفضي هذه المقولات بدورها إلى ظهور نظرية التناص لدى جيرار جينيت وشعريات جاكبسون وما نتج عنها من دراسات. وبأفول نجم وبأفول نجم البنيوية، وتحول بعض روادها (بارث، دولوز) إلى السيميولوجيا التي تنظر إلى النص باعتباره علامة، وبتحول رولان بارث مثلا من البنيوية إلى سيميولوجيا الدلالة، تناول مسائل المتعة واللذة والنسيج والسيميوزيس ومع جوليا كريستيفا عن طريق التحليل الدلائلي (السيماناليز). وتحول الأدب إلى مفهوم أوسع هو الكتابة مع جاك دريدا الذي اعتمد التفكيك وانتقل إلى الطتابة باعتبارها مفهوما واسعا، ينفتح على شتى الحقول المعرفية (في كتاب الغراماتولوجيا) كما برز مفهوم علم النص باعتباره ممارسة دالة، وإنتاجية ( كما قالت جوليا كريستيفا) ترتبط بنصوص أخرى من شتى المشارب المعرفية.

1. **النظرية الأدبية والتأويل:**

لقد أدى انفتاح الأدب على شتى الحقول المعرفية بما فيها الرياضيات والمنطق وعلم النفس إلى تحميله بمادة معرفية كثيفة، ومن ثم استوجب الالتفات إلى علاقة النصوص الأدبية بثقافة العصر، مما فتح آفاقا جديدة أمام التأويل، خاصة مع إعادة الاعتبار لدور القارئ مع آيزر وياوس، حيث يذهب أمبرتو إيكو في كتابه " القارئ في الحكاية" (lactor in fabulla) إلى أن النص" نسيج من الفضاءات التي يجب ملؤها، وأن الذي أنتجه كان ينتظر دائما بأنها ستملأ "[[4]](#footnote-5) من قبل المتلقي ولكي يمر النص من "الوظيفة التعليمية إلى الوظيفة الجمالية يريد أن يترك للقارئ المبادرة التأويلية"[[5]](#footnote-6)

بينما ستتم استعادة الأنساق بظهور النقد الثقافي الذي ينظر إلى الأدب باعتباره نسقا ثقافيا، محاولا التركيز على خطابات ظلت مهملة من اهتمام الدائرة المركزية، وسيحاول إعادة الاعتبار لخطاب الهامش في الثقافات الأخرى، وستظهر الدراسات ما بعد الاستعمارية مع إدوارد سعيد ونهومي بهابها. بل وسيظهر تيار الأدب النسوي وما بعده ليحدد موضوعة الجنوسة باعتبارها مفهوما ينضوي تحت مفهوم الأدب.

وعلى العموم فإن النظرية الأدبية مفهوم ديناميكي غير ثابت لأنه يرتبط بمتغيرات فكرية ونظرية على مستوى النقد الأدبي، لذلك فإن تغير النظريات النقدية يعد عاملا هاما في تحول النظرية الأدبية.

1. 1. أحمد بوحسن: نظرية الأدب: القراءة، الفهم، التأويل، نصوص مترجمة، دار الأمان للنشر والتوزيع الرباط، ط1، 2004، ص13. [↑](#footnote-ref-2)
2. . عزوز قربوع: المناهج النسقية ونظرية الأدب، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، ع10، 2016، ص 83. [↑](#footnote-ref-3)
3. . www.startimes [↑](#footnote-ref-4)
4. أحمد بوحسن: نظرية الأدب، ص 31. [↑](#footnote-ref-5)
5. . المرجع نفسه ص نفسها.ا [↑](#footnote-ref-6)